تقديم بقلم

الأستاذ الدكتور سليم الحسنية

التقديم لكتاب في الإبداع مهمة عسيرة، ولمؤلف تعرفه تكون المهمة أعسر، على أكاديمي خَبر مجالات البحوث العلمية والاطروحات الأكاديمية، ولكن ما يساعد ويشجع على إنجاز المهمة هو أن التقديم يتصل بكتاب يتحدث عن الابداع. وتكون مهمة المقدم في هذه الحال بيان سياق موضوع الكتاب، وكيف ولدت فكرته، والتعريف بالكاتب، والتحدث عن أهمية النص وموضوعاته، وما يحمله من جديد يفيد القارئ.

ابتعد الكاتب عن التكلف، عندما استخدام جمل واضحة سهلة التناول. حيث تمتاز مباحث كتابه بطابعها النقدي، بالاستناد على الأمثلة والشواهد، وإيراد الرأي والمبادرة بالحلول، وهذا ما سيلمسه القارئ على طول صفحات الكتاب؛ قد يكون أسلوب صاحب كتاب **(الإبداع)** متأثراً، بما يكتبه من مقالات رأي في الصحف. فاستخدم اسلوب المقالة ليشرح فيه فلسفة الإبداع وأفكاره العلمية، وتطبيقاته الواسعة، بلغة ميسرة، سهلة الولوج، لينة العبارة، تمتاز بالرشاقة والجاذبية، وفي مشاركة القارئ لأفكاره.

كتاب (الإبداع)، كتاب يعصر فيه المؤلف مقتطفات من تجربة عاشها نشيطاً في معارج الحياة والعمل. فسعادة السفير ديب أبو لطيف صديق درب منذ نهاية خمسينات القرن الماضي، فقد عملنا معناً في صناعة الخبز، وبعد الدراسة المسائية والحرة التحقنا بجامعة دمشق العريقة، ودرسنا على مدرجاتها الخشبية، على يد أساتذتها المخضرمين، وانخرطنا في النشاط الطلابي حتى تبوء طالب الحقوق ديب أبو لطيف منصب قيادة النشاط الطلابي في جامعة دمشق، في السبعينات، ومن ثم نائب رئيس

obeikandi.com

الاتحاد الوطني لطلبة سورية، فأتاحت له هذه التجربة الطويلة الاحتكاك بكافة صنوف الشباب السوري والعربي والدولي، ومن ثم عاد إلى وظيفته الأم في وزارة الخارجية، متدرجاً في وظائف السلك الدبلوماسي حتى مرتبة السفير، وشغل مع بداية الأزمة السورية مدير مكتب نائب رئيس الجمهورية. إذاً، نحن أمام تجربة غنية بالفكر الاجتماعي والسياسي والدبلوماسي، تستحق التوقف والمتابعة. ناهيك عن أن الكتاب ضربٌ جديد في التأليف، فرفوف المكتبات عامرة بكتب السياسة والاقتصاد، ولكنها نادرة في الدبلوماسية، أما عن الإبداع في هذه الحقول، فهو أشد ندرة، وأخشى أن اتردد في القول أنه حقلٌ (بكرٌ)، فمحرك البحث جوجل لم يعثر على اي كتاب عن الإبداع في هذه الحقول، لأنها موضوعات، وخاصة السياسي، من أعقد العمليات الفكرية على مستوى الأمم، لذلك خلد التاريخ قادة الإبداع السياسي على مستوى العالم، مثل الماوردي في كتابه "الأحكام السلطانية"(ت450 ه)، وروسو(1712 -1788) في كتابه "العقد الاجتماعي".

تطل علينا أوراق كتاب الإبداع من بين أوراق "الخريف العربي" الظالم، المتمثل في صراع القوى العظمى المباشر على سد الفراغات الجيوسياسية التي ملأت جغرافية الوطن العربي، نتيجة تشتت شملها، وضعف قادتها وضياع بوصلتها، كم يؤكد، الصديق ديب، مراراً، والنتيجة حروب الأخوة على مساحة الوطن العربي من ليبيا مروراً بمصر فسورية والعراق إلى اليمن (السعيد!).

يتألف الكتاب من نحو ثلاثين مبحثاً، يبدأها في مبحث عن طباع المبدع، وينتهي في مبحث عن جدلية الجغرافية الوحدوية، يمكن توزيع المباحث مناصفة في بابين: الباب الأول من المباحث يعالج فيه الكاتب قضايا الإبداع والباب الثاني تطبيقات الإبداع في الحقول التي خبرها: الإدارة العامة، والنشاط الجماهيري والسياسي، والسلك الدبلوماسي، وبينهما أطياف من الموضوعات الاستطرادية، وقد شغلت السياسة، وخاصة الوحدة العربية، حيزاً كبيراً من الكتاب. فتشعر وأنت تقرأ جمله بتدفق الأفكار، وكأنها محبوسة منذ زمن بعيد، وحان وقت البوح بها، لذلك

تزاحمت الأفكار وما وقع منها على الورق يشير إلى مخزون غني ينتظر وقت الكشف فيقول: "لا نستطيع أن نجمل كل مجالات العمل السياسي لسعة آفاقها"، تكررت مثل هذه الجمل التي تدل على تدفق الأفكار وضيق الحيز لسردها، في كل مبحث تقريباً، فمساحة الكتاب لم تتيح له البوح بكل شيء، فيقول: "في ضوء ما تقدم، قد لا أجد المجال ليتسع هنا للتفصيل بهذا الواقعّ ، وهكذا، وأنت تتقدم بالكتاب تشعر أن المتحدث يحمل على كتفيه هم مشروع النهضة العربية الثانية. اعتقد أن هذا الكتاب، وما سبقه (الوعي والانتماء، 1986)، جزءٌ من مشروع نأمل أننا سنشهد فصوله الأخرى في المستقبل القريب.

إن فصول وفقرات الكتاب، تشكل تسلسلاً منطقياً مترابطاً، فقد استخدم المؤلف التراوح في المنهج العقلاني بين الاستدلال والاستقراء، فبدأ بعرض الأفكار والمفاهيم المتشعبة، أو طرح قضية عامة، ومن ثم ينتقل إلى التحليل وإبداء الرأي وعرض الشواهد والأمثلة التي تُخبئ خلفها التجارب الشخصية، التي لم يصرح عنها بشكل مباشر، ويخلص إلى النتائج والتمهيد للفقرة التالية، وإن كان أحياناً يترك الموضوع لمشاركة القارئ بالتعليق والاستنتاج، وهذا ما يعد من فنون التواصل الحديث. إنه نصٌ مُيسر الدخول إلى عوالم الإبداع وتطبيقاته السياسية والدبلوماسية والإدارية، باستخدام المرادفات والتأكيد على الأفكار والتذكير بها، بين الفينة والأخرى، مما يؤلف قراءة سلسة رشيقة جاذبة وممتعة. على الرغم من رحابة عالم الإبداع وتيسّره، يخشاه كثير من الناس الذين يعتقدون أن الإبداع هو الإتيان بشيء خارق كتفاحة نيوتن، على الرغم من بساطته، فالإبداع كغيره من النشاطات الإنسانية يمكن أن يأتي به أي أنسان عاقل، وفقاً لطاقاته وبيئته، من اختراع السكين الحجري، الإبداع الذي ما بعده إبداع، لا تزال البشرية تترف بنعمِه وتكابد من نقمِه، إلى وسائل التواصل الاجتماعي الإلكترونية التي اتاحت الفرصة للتواصل المباشر(دون وسيط) بين أكثر من سبعة مليارات من البشر حول العالم. فتبديل الطريق الذي نسلكه يومياً خطوة أساسية على طريق الإبداع، فإذا لم نغيّر الأشياء والأمور الصغيرة قد نقف عاجزين أمام تغير الأشياء والأمور العظيمة، فكيف نتوقع

من تلميذ لم يبادر طوال حياته على مقاعد الدرس (18 عاماً)، أن يشتعل الإبداع عنده في اليوم التالي لدخوله ميدان العمل.

قدم المؤلف قراءة تحليلية نقدية شاملة للواقع العربي الإداري والسياسي والدبلوماسي، في ظل نظرية الإبداع وكيفية توظيفها في هذه الميادين، برؤية مستقبلية طموحة. فانتقد مسارات الفكر العربي انتقاداً شديداً، وأعلن أن الفكر العربي قد " خرج فكراً لا شخصية ولا هوية له في كثير من المجالات وفي العديد من الحقب، الأمر الذي أظهره مهزوزاً، يسير بلا هدى، فلا بوصلة تهديه، وإن توفرت البوصلة كانت غير دقيقة، لأنه لا يد للفكر العربي في تصميمها ، هذا استنتاجٌ ليس غريباً، على من خبر الفكر السياسي خاصة، على مدى أكثر من نصف قرن. فالواقع يقول إن الذي يقود الفكر العربي هم الشعراء والإعلاميون، وهذه وظيفتهم: التحليق، والخيال، والمجاز، والتورية، أو تسويق سياسات الحكام... وليس التخيل الفكري وتحسس المشكلات العامة تحسساً إبداعياً وعلمياً، يتصف بالضبط والتدقيق والحصر والتمحيص في الفكر العربي الجوهري الشمولي بعيد المدى، فكتب الشعر تفوق كتب الفكر بعشرات المرات.

اتسمت طروحاته وانتقاداته، بالشفافية والصراحة المباشرة، فوصفها بما هي عليه من خلال تجربته وملاحظاته الموضوعية، وإيمانه بالأمل أنه لا يزال هناك فسحة للتطوير والإبداع، فيقول: (الأكثرية الساحقة من تنظيماتنا السياسية، فاقدة لمقومات أمتها العربية، وهي بالوقت نفسه تزعم بأنها تتصدى لإنجاز أهداف هذه الأمة، فكيف لتنظيم لا يملك وحدة فكرية أو وحدة تنظيمية؟؟ أن يحقق وحدة عربية، ....وعلى هذا الأساس فأحزابنا كثيرة، وحصيلتها غير وفيرة)، ومن ثم يُشخص لنا أفق لحل هذه الإشكالية: "إن الابداع الحقيقي – الذي أؤمن فيه وأعتقد(الكلام للمؤلف) - بالنسبة للتنظيمات السياسية و الحزبية في الوطن العربي،... هو حينما تبدع هذه التنظيمات السياسية وتكشف الأسباب التي تحول دون توحدها فكريا وسياسيا وحتى تنظيمياً . فلم يكتفي بالعرض بل تعداه إلى

التحليل والنقد والمبادرة بالطرح، فقد عرّى ممارسات "الديمقراطية المركزية"، وكيف أن الركن الثاني طغى على الركن الأول، فيقترح الانتقال من *"مبدأ (نفذ ومن ثم ناقش)*...إلى مبدأ (بادر وقيّم وحاسب)*"*. أما اقتراحه لممارسة "الديموقراطية بالأبداع"، فهو اقتراح عملي حتى أنه يعطي، في حقل إعادة خلق النقد السياسي، العبارات التي يجب أن يستخدمها (هاتوا ما عندكم من نقد ، لماذا لا تنتقدون ؟)، وكأننا في كتاب للتطوير الذاتي. ولكن مسألة الديمقراطية الإبداعية، فإنها، دون شك، طرح ثوري يحتاج إلى مجلد مستقل، خاصة أن معظم شعوب الحضارات القديمة وحكامها غير راضين تماماً عن ديموقراطية البلدان الصناعية.

الأمل المفتوح على المستقبل الواعد، يبشر هذا الأمل المفتوح على المستقبل للنهضة العربية الثانية، أيها الصديق العتيق، بما كنا نحلم به قبل نصف قرن، منتظرين متى يهل علينا القرن الحادي والعشرين، لأننا صدقنا حلمنا بأننا، مع بدايته، سنعيش حلمنا في الوحدة العربية، والديمقراطية الحقة، والعدالة الاجتماعية، وليس الخريف العربي، الذي نتمنى أن لا نودع الحياة قبل مشاهدة افوله وملامح لدخول الربيع الذي حلمنا به، يبشر بولادة حياة جديدة للنبات والحيوان والإنسان، وأن لا نكون مجبرين إلى ترحيل أحلامنا إلى الأجيال القادمة. شكراً لك لإعادة تدوين هذا الحلم من جديد، فقد يتردد صداه يوماً ما، في العقول، أكثر منه في العواطف والانفعالات، كما أردت أن يكون العقل هو الموئل لحل أعظم المشكلات.

ولدت فكرة الكتاب لدى سعادة الدبلوماسي والسفير ديب أبو لطيف -كما ذكر لي - بعد قراءته المعمقة لكتابي (الإدارة بالإبداع... القاهرة، 2009)، مما أثار حنقه على ما يصيب الإبداع في محيطه ووطنه، الذي أمضى حياته فيه مجاهداً لتطويره وتحقيق الازدهار الذي حلمنا فيه، متنقلاً في نشاطه الفعال من أقدس المهن(صناعة الخبز)، فقيادة الجسم الجماهيري الأكثر حيوية (طلبة الجامعات)، إلى المسؤوليات الوطنية العليا(تبوء السفارة والأمانة في الرئاسة). فعندما سمعنا معاً صوت المذيع، في ذلك الصباح الباكر المبشر بالربيع العربي، من يوم الثامن من أذار

1963، يصدح: *" أمة عربية واحدة ذات رسالة خالدة..وحدة حرية اشتراكية "*، فقد أراعه كيف أن الإبداع بين أيدينا، منذ تلك اللحظة، وعيوننا لا تراه وعقولنا لا تدركه، أراد أن يصرخ بصوت عال أن **الإبداع هو الحل!** بل يدعو إلى الثورة على الحالة العدمية في واقع الإبداع، فاستل سيف قلمه ليقول: **كفى! لنبدأ، وهذه هي الخطة**.

فأبشر أيها الصديق العزيز أن طلائع بذور هذه الخطة بدأت في قطاعات مختلفة، في التربية، مدارس المتفوقين والأولمبياد العلمي السوري... وفي الصناعة، معرض ومسابقات وجمعيات للمبدعين... وفي التعليم العالي، لجان لرعاية الإبداع، وأقسام للريادة والإبداع في المشروعات، ومقررات جامعية رسائل أكاديمية في حقول الإبداع. ولكن كما ألحيّت أكثر من مرة أن هذا النشاط المشتت يحتاج إلى وضع خطة استراتيجية وطنية تؤطر هذه المحاولات المنفردة في **رؤية نظمية، أصيلة، مستقبلية، تنافسية شاملة لأكثر من جيل من المبدعين**، وليس بأقل من وزارة كما طلبت.

طرح الكاتب عشرات القضايا والأسئلة، وطالب بإعمال العقل واستخدام المنهج الإبداعي في البحث عن أسبابها وإيجاد الحلول لها، وأيضاً تنفيذ الحلول بطريقة إبداعية، في الواقع هذا هو المنهج الذي سارت عليه كل الدول المتقدمة خلال العقود الأخيرة، مثل أوربا التي خصصت برامجاً للإبداع تشمل كل القطاعات، المدن الإبداعية، والجامعات الإبداعية، والمشروعات الإبداعية، وهذا ما سارت عليه دول مثل اليابان وكوريا الجنوبية، والآن الصين والبرازيل وماليزيا...فالإبداع المولّد الأصيل للحضارات. قد أخذت الإدارة حيزاً محترماً من مباحثه العديدة، وبنوده المتشعبة، وقد خصص مبحثاً لشرح مفهوم **الوظيفة الخامسة للمدير: الإبداع**، التي طرحتها في كتاب **الإدارة بالإبداع**، واعتبرها بمثابة الروح لوظائف المدير الأخرى والدينامو المشغل لها (شكراً... شكراً يا ديب)، فالتخطيط دون إبداع تخطيط تقليدي وتكراري، كالخطط الخمسية الإحدى عشر الشهيرة...وقد أضاف الإداري الأستاذ ديب وظائف أخرى تستحق الدراسة والتعمق مثل، وظيفة التنفيذ، فالإبداع

دون أن تتاح له آليات ممارسة إبداعية تنافسية صحيحة يظل حبيس العقل[1]، مثل إبداع عباس بن فرناس، ووظيفة التفكير التي يعدها أم الوظائف، ومعه كل الحق في ذلك، فأنا، ومنذ أكثر من عقدين أطلب من جميع طلابي اختيار نمط ما من أنماط التفكير يدرسه ويعرضه في الدرس كورقة بحثية، لأهمية وظيفة التفكير في حياة كل الناس، لقد لاقت هذه الفكرة، استناداً إلى نتائج بحث علمي محكم منشور[2]، أنجزته على عينة من الطلبة وعلى عدة سنوات، استحساناً عاليا وفائدة مباشرة في رفع سوية الأداء الفكري لطلبة الدراسات العليا. كما يحسب له، في مجال حقوق الملكية، إثارة موضوع سرقة ابداعات الحضارات القديمة، وحضارات الشعوب البدائية أو تدميرها أو التعتيم عليها، فعلى سبيل المثال فتاريخ الطب في المراجع الغربية يبدأ مع أبو قراط، ويقفز عن المرحلة الإسلامية العربية، مثل إبداعات أبو بكر الرازي(865 -925م)، أبو الطب، مخترع طبلية المريض والتدريس السريري، وكتابه الحاوي الذي ظل يدرس في أوربا حتى عصر النهضة[3]. فقد وسع أبو لطيف الرؤية التطبيقية لأفكار الإدارة بالإبداع ليشمل الإبداع السياسي والدبلوماسي، وقد استمتعت بقراءة مباحثه الثلاثين، ففي الإبداع الدبلوماسي، بادر بطرح "*دبلوماسية المسار*"، وقد تأتي الفرصة للدبلوماسي الهادئ أن يغني مكتبتنا بما يختزنه من مسارات لهذه المهنة، الجاذبة للجيل الشاب" أتصور... أحاول أن أتجاوز حدودي وأتطاول على أسوار المطلق الذي يتراءى لي، وقد لا أبلغه...وهذه وجهة نظر تحتاج إلى برهان.

يتعامل الكاتب مع موضوع الإبداع وكأنه "مولوده"، الجديد، محاولاً معالجته من جوانبه المتشعبة كافة، صاباً عليه عصارة فكره وتجاربه، فيتنقل بين مكونات الإبداع وآليات عمله، بهاجس تغطيتها كلها وبعمق، ولكن بحذر مردداً عبارات

---

[1] فنظرية فريديريك تايلور(1856-1915) أبو الإدارة العلمية ،تعتمد على صحة الحركة والإنجاز بأقصر وقت.

[2] تدريس العلوم الإدارية بمهارات التعلم العليا، مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، المجلد 27، 2011.

[3] انظر كتابي من البيمارستان إلى المستشفى،1998)

obeikandl.com

مثل" ، وكأنه، بهذا التواضع والخشية من أن يطلق أحكام عامة، يريد أن يقول أتمنى أن يمنحني الزمن الوقت الكافي لأتوسع وأتعمق في هذا القضايا الإبداعية المعقدة، والعلاقة الجدلية بين الإنسان وعقله ومحيطة الواقعي المعاش، والظواهر التي يتأثر بها ويؤثر فيها مثل أنظمة التربية والتعليم والسياسة والاقتصاد.... وأن يصل بها إلى خواتمها. ويضيف أن نشاط الإبداع هو "سلسلة خلق" (استعارة من قاموس الرياضيات)، فيطلق صرخة مجلجلة على الإهمال الذي يلحق بالإبداع والمبدعين، فيقول: " الأمر العجيب الذي نعلمه ونقبله وننقده ، هو أننا نغط في سبات عميق، دون أن نستيقظ استيقاظا علميا حقيقيا... بل أكثر من ذلك فلا زال المثقف والمسؤول والمتعلم فينا ، يعيش حالة مرضية مستسلمة، تتمثل في أننا نقف بأكثريتنا الساحقة مبهورين(نقلد ونؤيد ، و ننقل غير مجتهدين ومبدعين)"، ما أجمل هذا التوصيف!

صنف الكاتب المبدعين إلى أنواع، فقد اجتهد في التصنيف، فصنف، على سبيل المثال، المبدعين إلى: مبدع مسؤول، وأخر مقدام، وثالث عنيد، ورابع فوضوي. أما الإبداع فصنفه إلى إبداع جوهري، وأخر شكلي، وقد اجتهد أيضاً في التفريق بين "الإدارة بالإبداع والإبداع بالإدارة، وقد وجد أن العلاقة جدلية بينهما وأن "الفروقات طفيفة" ، وإن كان لنا في هذه الطروحات وغيرها كلام (مثل أن الحاجة تأتي قبل الرغبة...) إلا أن هذا التصنيف يعكس الذهنية العلمية الواقعية للكاتب في معالجة القضايا الشائكة(فجوهر العلم هو تصنيفاً للظواهر وتفسيرها). إن اعتماده على ضرب الأمثلة الواقعية التوضيحية، يعكس الخبرة الشخصية المحنكة في طباع الناس وصفاتهم الشخصية، والقدرة على توصيل الأفكار. في النتيجة اقترَحَ تعريف للإبداع، على الرغم من أن التعاريف في العلوم الاجتماعية قضية جدلية، باستثناء ما هو عام في العلوم البحتة، كما في الرياضيات والفيزياء، فالماء مؤلف من ذرتي هدرجين وذرة اكسجين، لا خلاف على ذلك، أما في العلوم الاجتماعية والإنسانية فالجدل على أشده، لأنه، كما أقول دائماً، الأنسان وما يتصل به (صندوق أسود) لم نكتشف إلا أجزاء يسيرة منه. ونلاحظ أن الكاتب يستدعي ويناشد أهل

الاختصاص لإسعافه بحل بعض القضايا المعقدة مثل العوامل النفسية والانفعالية، والماورائية، التي يَعدها من محفزات النشاط الإبداعي للمخلوق البشري.

العوامل المؤثرة في الإبداع، كما ميز بين العوامل التي تؤثر في الإبداع فقسمها إلى: عوامل موضوعية، ويقصد بها عوامل البيئة الخارجة عن ذات الإنسان، والعوامل الذاتية، ويقصد بها الفروقات الفردية التي تميّز كل شخص عن الشخص الأخر، وبين كيف أن التحالف (استعارة من القاموس السياسي) بين الموضوعي والذاتي يُلهب ضوء البوصلة التي تؤدي إلى الإبداع. ونظيف أن هناك جدلية أخرى تستحق العناية هي الجدلية القائمة بين المورث والمكتسب وأثر كل منهما في الأخر و" تحالفهما" في التأثير على تنمية الإبداع عند الإنسان، وبالتالي المجتمع.

استخدام المفاهيم والمصطلحات، أما فيما يخص المفاهيم والمصطلحات **فكانت مستمدة من البيئة الحياتية**، فعبارات الكتاب عبارات مجازية سهلة الولوج، وما أحوجنا إلى أن يكون، هذا الإيجاز البديع: "إعمال العقل ودفن النقل"، محفوراً في عقولنا قبل أن يكون مرفوعاً على أبواب أكاديمياتنا، وأورد غيرها كثير مثل: "الفوقية الإدارية...، وفرز الغث عن السمين...، ومن كل حدب و صوب... ومستحيل المستحيلات..وعلى ماذا يتغذى الإبداعٌ ، ميسراً على القارئ الوصول إلى الفكرة، عارضاً الأمثلة من القصص الحياتية والأساطير المعبرة عن عمق التجربة الإنسانية، مثل ملحمة كالكامش، وعدم ترك فرصة للقارئ للتأويل والتفسير باستخدام المرادفات، وإعادة شرح الفكرة لأكثر من مرة، وفي أكثر من مكان، ومن ثم التأكيد على ما ورد باستخلاص النتائج في نهاية المبحث، كأن يقول: "هذا التوضيح الذي يجليه الاستنتاجات التالية". كما طرح مفاهيم وأفكار تستحق النقاش والتعمق مثل "النزوع الاستكماليٌ ، وأن العقل نبع لا ينضب "يختزن طاقات لا نستطيع الوصول إلى قمتها"، ومن بيئة التشريح الطبي استخدم "الأعضاء النبيلة"، ومن بيئة الحيوان "فك شيفرة بعض الكائنات الخلاقة...مثل النحل والنملٌ. من أكثر المفاهيم التي استخدمها، إلى جانب مفهوم "الإبداع"، هو مفهوم "العقل" حتى

ظننت أنه من اتباع المذهب العقلاني rationalism، الذي بدأ تأسيسه الفرنسي رينه ديكارت (1596 -1650)، وهو مذهب يدعو إلى استخدام قواعد المنطق والوسائل الصحيحة، مقابل العواطف والتقليد، للوصول إلى الأهداف وتحقيق الرغبات.

المساهمة العلمية والعملية، تقاس المساهمة العلمية لعمل ما بمدى مساهمة نتائجه في تطوير حقل المعرفة بالنسبة للنظريين والأكاديميين، وفي قدرته التوليدية للبحوث اللاحقة، أي خلق الرغبة على الاستمرار في البحث، هذا ما نشاهده، دون مبالغة مرة في كل صفحتين على الأقل، مثل البحث في قضية التقليد والانبهار أمام المبدعين في العالم وخاصة الغربي فيقول:(هذه الظاهرة يجب الوقوف عندها طويلا للمزيد من التقويم ...، لمعرفة المنعكسات الإيجابية والسلبية...) فظاهرة الاستسلام للتقليد " توازي العجزّ ، كما يقول. فعلاً هي ظاهرة خطيرة تقتل الإبداع في مهده، تستحق الدراسة والتمحيص لمعرفة كيفية التخلص منها. فقد أجريت اختباراً مبكراً لظاهرة الانبهار، فعندما كنت أقول عن نتائج بحث لي في (استراتيجيات التنمية، 1979)، وقد صدقت نبوءته، ولا تزال أفكاره صحيحة حتى الآن، فعندما كنت أقول، في محاضرات عامة أو أكاديمية، عن نتائج هذا البحث: إن العالم (إدوارد ركاردو) توصل إلى كذا وكذا... كانت الفكرة تلقى القبول والاستشهاد، ولكن عندما أنسبها إلى صاحبها المحلي كان يُستمع لها، وقد يُفكر فيها!! فصح فينا المثل (مغني الحي لا يطرب). لقد ركز المؤلف على فكرة أن الواقع بكليته الحلو والمر، الأسود والأبيض مصدر رئيسي لإلهام المبدع، وهذه رؤية بيئية حساسة، العالم بأجمعه يعمل عليها، لتغييرها لمصلحة الإنسان. كما طرح ظواهر اجتماعية عويصة، مثل ظاهرة (التبرير) وضرورة فتح آفاق بحثية لمعالجة الظاهرة علمياً، فـ"التبرير يفقد التوجه جدواه "، فغالباً عند الوقوع بالأخطاء نلقي اللوم على الأخرين.

obeikandi.com

الفائدة العملية، فقد كانت محاولاته العملية واضحة في إيجاد الحلول للمشكلات التي تواجه الممارسين في الإدارة والسياسة والدبلوماسية، أيضاً نلاحظ أنه لا يخلو منها أي مبحث، فيضع الاستراتيجيات والخطط، وحتى الخطوات العملية(1..2...3..) لكيفية تحويل الفكرة إلى واقع. فخريطة الطريق لـ "دفن التقليد والنقل والانتقال إلى الإبداع والعقل" تبدأ، كما يقول، "باكتساب المعرفة... ووضع قاعدة بيانات للمبدعين(بطاقة مبدع)... وتنتهي بالتشريع للإبداع"، كما يفرد مبحثاً خاصاً، للإجابة على سؤال:" كيف ننهض إبداعياً؟؟" ويجيب، ضمن غيرها من الخطط التنفيذية، ليس بأقل من "وزارة للإبداع"، للكشف المبكر عن المبدعين، وإعدادهم للميدان.

وأخيراً اتقدم بجزيل الشكر والتقدير لرفيق العمر سعادة السفير ديب أبو لطيف، على اهتمامه **بالإبداع**، والأكثر من ذلك كتابة مصنف يجعل فيه الإبداع في متناول الجميع، وينقل أفكاره إلى عامة القراء في ميدان الممارسة، فالإبداع جوهر استمرارية حياة الإنسان وتطوره، يستحق أن نخصص له الوقت والجهد اللازمين لتعلمه وتعليمه.

فإلى صفوف تعلم الإبداع وتعليمه سر!! فهو الشيء الوحيد الذي نجد بواسطته كل شيء من لا شيء.

أ.د. سليم إبراهيم الحسنية

obeikandl.com